أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في صدر الإسلام

(ظهور النقد الأخلاقي)

د.إبراهيم صالح إدريس أبوبكر

أستاذ الأدب والنقد المساعد، جامعة الجزيرة ، كلية التربية الحصاحيصا، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

ملخص البحث

تتلخص هذه الدراسة في توضيح أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في عصر صدر الإسلام ومن المعلوم أنّ الإسلام قد أحدث انعطافة مهمة في حياة العرب بل حول مجرى التاريخ برمته، وأن الدعوة المحمدية أثرت في المجتمع العربي .والسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وبذلك أثرت على الشعراء والنقاد فألزمتهم بالمنهج الإسلامي. هدفت الدراسة إلى إظهار آيات القرآن الكريم التي أصلت للأدب وبينت مكانته وإلى توضيح أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في المجتمع الإسلامي ، وتحليل النقد الأخلاقي الذي وضعته الدعوة الإسلامية.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والمنهج الذي اتبعه الباحث في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي وجمعت المادة من مصادر الأدب والنقد ذات الصلة بالموضوع. ويشتمل البحث على ثلاثة مباحث فالأول منه بعنوان: أثر القرآن الكريم في توجيه الحركة الشعرية ، والثاني أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية ، والثالث عن أثر الخلفاء الراشدين في توجيه الشعر. وأبرزت الخاتمة النتائج والتوصيات.

ووصل البحث إلى عدد من النتائج من بينها: أنّ القرآن الكريم قسم الشعراء إلى قسمين طائفة الغاوين أصحاب الشعر المذموم وطائفة المؤمنين الصالحين أصحاب الشعر المحمود، إنَّ الإسلام أثر في العرب وغيّر حياتهم وأدبهم بتعاليمه ولم يعاد الشعر بل شجع عليه ، وأنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثنى على الشعراء وتبسم لقول الشعر.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل لغة العرب أحسن اللغات والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) المرفوع الرتبة فوق سائر المخلوقات وعلى آله وأصحابه الذين هم الهداة بالاتفاق وبعد فإنّ رسول الله أفصح الناطقين وأحلاهم

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

قولاً حيث قال: أوتيت جوامع الكلم، وهذا البحث في النقد الأدبي يتناول أثر الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في عصر صدر الإسلام.

والمراد بصدر الإسلام الفترة الزمنية الممتدة من البعثة المحمدية المباركة ، وقبيل قيام الدولة الأموية ، والمتطلع إلى دراسة الحركة النقدية في هذه الحقبة يستوجب عليه أن يمعن النظر في حال الأدب ، في هذه الفترة التي شهدت ميلاد المجتمع الإسلامي الفتي، و عرفت انقلاباً كبيراً في المفاهيم والقيم والتصورات.

أهداف البحث:

1. إظهار آيات القرآن الكريم التي أصلت للأدب وبينت مكانته.
2. توضيح أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في المجتمع الإسلامي.
3. تبيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من الأدب.
4. دراسة وتحليل النقد الأخلاقي الذي وضعته الدعوة الإسلامية.

منهج البحث

سلك البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تتبعه للحركة الأدبية النقدية في عصر صدر الإسلام.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الأول

أثر القرآن الكريم في توجيه الحركة الشعرية

الشعر مرآة كل عصر ، وديوانُ الأمم تسجل فيه حياتها وأفكارها ومشاعرها، وكان الشعر في الجاهلية سمة العرب التي عرفوا بها وهو سجل حياتهم وتعاملاتهم والشعر الجاهلي انتقل إلينا عن طريق الرواية الشفهية من الرواة وغيرهم لأنّ الشعر يحفظ الأنساب وأخبار العرب وأيامهم .فقد حرص كل فرد من القبيلة على أن يعرف ما قيل عن قبيلته من شعر يمجدها ويفخر بها ، ويهجو أعداءها.

ولقد ساعدت حافظة أبناء الصحراء القوية وحاجة أفراد القبيلة على تواتر رواية الشعر فقد امتاز العرب بقوة حافظة نادرة المثال فضلاً عن الأسواق التي كانت تقام في شهور السنة ،فهذه الأسواق ، ساعدت على حفظ الشعر وانتشاره بين القبائل حتى اقترن اسم عكاظ بالشعر الجاهلي الموروث إلينا من الفحول الجاهليين الذين حفظت لنا ذاكرة الزمن أسماءهم تمجيداً لشاعريتهم وعبقريتهم وامتلاكهم ناصية الشعر وفنونه وكانت الأغراض التي يتناولها هي الغزل في المحبوبة وذكر الديار، ومدح أمجاد القبيلة وبطولاتها ،ووصف الطبيعة البدوية التي يعيشون فيها ،وهجاء الأعداء والتعريض بهم ، وغير ذلك من الأغراض التي كانت سائدة فكان

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الشعر له مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في نفوس العرب وهو من أجمل الفنون الشعرية وأروعها[245] .

ولأهمية الشعر في حياة العربي فلا بدّ من أن يكون للشاعر مكانة في قبيلته لأنه يفخم شأنها ويمجدها وفي ذلك يقول أبو عمر بن العلاء:" كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم على الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ...)[246].

وجاء الإسلام فانكب العرب على تلاوة القرآن ، وفتح البلاد، ونشر الدين الحنيف ولكنهم لم ينسوا الشعر أبداً ، يقول ابن سلام وكأنه يعقب على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (...كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٌ أصحُ منْهُ فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته، فلمّا انتشر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب وألفوا

---

[245] – حسين محمد نقشه ، حماسة أبي تمام وشرحها، الهيئة المصرية للكتاب ،1987م ص:10.

[246] – الجاحظ ،أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، بيروت،ط4 ج1 ص :241.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ذلك . وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقلّ ذلك وذهب عليهم منه أكثره...)[247].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "الشعر ميزان القول". وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها، وتسل به الضغائن من بينها".

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر(رضي الله عنهما) قالت : مرّ الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين (أي غير منصتين) لما يسمعون من شعره ، فقال : ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ؟ لقد كان ينشد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيحسن استماعه ، ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه إذا انشده[248].

وعندما جاء الإسلام غيَّر حياة العرب في جميع ضروبها حيث جعل العمل للدنيا والآخرة معاً وجاء بإبطال كثير من الأمور الجاهلية أولها العصبية القبلية التي كانت تسيطر على حياتهم ، ووضع قيودا بأن لايجوز تجاوزها . وجاء القرآن ببلاغته وفصاحته وإعجازه الذي تضائل أمامه شعراء وفصحاء العرب ومنهم من

---

[247] – ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء دار المدني ، جدة دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص: 22.

[248] . الزوزني ، أبو عبدالله الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع ، تحقيق ، طه عبد الرؤوف سعد ، ط،دار الحرم للتراث ، القاهرة، ص: 26.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

انقطع عن قول الشعر لأنه لا يرقى إلى مكانة القرآن مثل لبيد بن ربيعة فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً وحداً وهو[249]:

الحمدُ للهِ إذْ لمْ يأتِنِيْ أجلي حتَّى اكتسيتُ من الإسلامِ سربالاْ[250]

يحمد الله تبارك وتعالى بأن أمد في عمره إلى أنْ أدرك الإسلام ولبس منه لباس التقوى والإيمان الذي يحميه من الجاهلية وشرها.

و قد أحدث القرآن الكريم تأثيراً كبيراً في حياة العرب فقد نقلهم من البداوة إلى الحضارة، فتحضر بذلك أدبهم. و هو الذي وصلهم بالأمم و الثقافات الأخرى، فتحضر بذلك شعرهم و نثرهم. ومن آثار القرآن الكريم على اللغة العربية أنه جمع العرب على لهجة قريش التي نزل بها، و أنه ملأ ألفاظ اللغة بالقيم الأدبية و حفظ لها أصولها و معالمها، كما أحل فيها معاني جديدة و ألفاظا جديدة عبرت عن هذه المعاني، و أنه كذلك هذب اللغة من الحوشية والألفاظ الغريبة. [251]

فاتخذ الإسلام من الشّعر مواقف مختلفة على حسب طبيعة الشعر ومراحل الدعوة حيث وردت في القران الكريم سورة باسم "الشعراء" ، كما وردت بعض الآيات تعالج قضية الشعر والشعراء .ونفي صفة الشعرية عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" وما وصفه المشركون قال تعالى **(بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ**[252]**)**.وصف المشركون القرآن

---

[249] – زكي نجيب ، مع الشعراء ،بيروت ، دار الشروق ،ط13 ،1982م ،:57.

[250] – لبيد بن أبي ربيعة ، ديوان لبيد،تحقيق حمدي طماس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان : 87.

[251]–ضيف، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي،ص:30

[252] – سورة الأنبياء الآية 5

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بأنه أحلام رآها الرسول . صلى الله عليه وسلم . في نومه أو افتراء منه أو قول شعر كما يقول الشعراء الأولون وقال تعالى:(**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** [253]) ثم يقولون بأنهم ليس منصرفون عن ألهتهم التي وجدوا عليها أباءهم إلى شاعر مجنون حيث يصفون الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . بأَنَّهُ شاعرٌ. وقال تعالى:(**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ** [254]).ويقولون هذا شاعر نصيبه بالعذاب وصروف الدهر المهلكة . ولكن الله تبارك وتعالى نفى صفة الشاعر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ** [255]) كما جاء في القران لفظ الشعر في قوله : (**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**[256]) ينفي الله صفة الشعر عن القرآن الكريم والرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس بشاعر كما يزعم المشركون. وعن الشُّعراء قال تعالى : (**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**[257]). يقصد بهم شعراء المشركين الذين تناولوا الرسول الكريم ص بالهجاء ومسوه بالأذى ويخوض معهم في قول الشعر الخائضون ،حيث استثنى غيرهم من الشعراء المؤمنين الذين نصروا الدعوة الإسلامية ودافعو عنها . في قوله تعالى:(**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ**

---

[253] – سورة الصافات الآية 36.

[254] – سورة الطور الآية 30.

[255] – سورة الحاقة الآية 41.

[256] – سورة يس الآية 69.

[257] – سورة الشعراء،الآيات (224. 226).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يَنقَلِبُونَ)[258]. نجدُ الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ثم ردوا على المشركين الهجاء الباطل بالهجاء الحق هم الذين أقرّ الدين الإسلامي شعرهم والذين ظلموا لهم العذاب الأليم الذي ينالوه يوم القيامة .

من هنا يتضح إن المراد من هذه الآيات ليس معاداة الشعر بوصفه شكلا من أشكال التعبير الفني والدعوة إلى التخلي عنه، وليس فيها أيضاً ما يُنقص من الشعر من حيث هو شعر، وليس في نفيه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) غض لقيمة الشعر، أو تقليل من شأنه، بل في نفيه عنه دلالة إعجاب أشد،فقد نفى الله عن نبيه الشعر الذي عرف بين العرب بقوة التأثير،و بلاغة الدلالة و القدرة على الفصاحة [259]، قال ابن رشيق:"و لو إن كون النبي(صلى الله عليه وسلم) غير شاعر غض من الشعر،لكانت أميته غضا من الكتابة، و هذا أظهر من أن يخفى على أحد"[260] .

وبناءً على هذا يمكن القول بأنّ موقف القرآن الكريم من الشعر ينبع من موقف الشعراء أنفسهم الذين ينقسمون إلى فئة ضالة بعيدة عن الحق وقفوا بشعرهم ضدّ الإسلام ووصفوا الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بأنَّهُ شاعر . فالقرآن الكريم ذمّ هذه الفئة ونهى عن شعرهم . وهناك فئة أخرى صالحة مؤمنة واكبوا الإسلام منذ أحداثه الأولى فتأثروا. بقضاياه وقيمته ، ودافعوا عنه ، وقاموا بنشر

---

[258] – سورة الشعراء الآية 227

[259]– مصطفى عبد الرحمن:في النقد الأدبي القديم عند العرب،ص:62 .

[260]– ابن رشيق القيرواني (محمد أبو علي) العمدة في محاسن الشعر ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت، دار الجيل ، ط4 ،1972م:21

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تعاليمه ورسالته . والقرآن قام باستثناء هؤلاء الشعراء عن شعراء المشركين وشجعهم بشكل أو بآخر على نظم الشعر في أداء الرسالة .

المبحث الثاني: أثر السنة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية:

السنة النبوية: وقفت من الشعر موقفين فقد مدحت السنة النبوية الشعر وحرضت الشعراء على قوله عندما كان سلاحاً ينصر الدعوة فقد صح عن (النبي صلى الله عليه وسلم) حديثٌ في ذم الشعر ؛ روى مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال في الحديث :(لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير من أن يمتلئ شعراً).[261]

وكان ممَّن حاول إيجاد مخرج لهذا الحديث السهيلي في كتابه الروض الأنف حيث استند على ما ذهبت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها من أنّ المقصود بالشّعر الوارد: الشعر الذي هُجي به الرسول . صلى الله عليه وسلم[262].

النبي صلى الله عليه وسلم وقول الشعر:

[261] – صحيح البخاري ، للإمام مسلم بن الحجاج ،ج4، دار إحياء التراث العربي،بيروت:177.

[262] – السهيلي، أبو القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي الأندلسي المالكي، ،الروض الأنف ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ،دار الفكر ، ط1، 1967م ج5 : :73.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

صرف الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر، فلم يؤثر عنه أنَّ أنشأ شيئاً منه وهو القادر عليه ، اللهم إلا ما وقع له من غير قصد ، كقوله يوم أحد.

أنا النبيُّ لا كـذب أنا ابـنُ عبدِ المطلبِ

وقوله وقد دميت أصبعه:

هل أنت إلاَّ أصبعٌ دميت وفي سبيلِ اللهِ ما لقيت

وإنّما اتفق له ذلك كما يتفق لكل متكلم أنْ يجيء كلامه على وزن وهو لا يتعمده.

قال الجاحظ: قال بائع: (من يشتري باذنجان) لكان شعراً لأنه: مستفعلن مفعولاً، وهو كما تعلم من منهوك المنسرح ذي العروض الموقوفة، ...

كما ورد في القرآن مثل قوله تعالي: **(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)**[263]. وقوله تعالي: **(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)**[264] ، فإنهما يوافقان الرمل. وقوله تعالى : **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ**

---

[263] – سورة آل عمران الآية 92

[264] – سورة سبأ الآية 13

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)[265]، فإنه يوافق الخفيف . وقوله تعالي : **(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا)**[266] ، فإنه يوافق الرجز . وقوله تعالى: **(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ)**[267] ،فإنه يوافق الوافر. وقوله تعالي: **(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)**[268] ، وزنه مستفعلن متفعلن. وهو رجز وقوله : **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)**[269] من بحر الخبب ووزنه فعلن . فعلن.....

وفي كتاب الباقلاني (إعجاز القرآن) أمثلة كثيرة لما ورد في القرآن الكريم من شعر غير مقصود.

ومثل هذا يقع في كلام الناس كثيراً من غير قصد علي أنه ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان من الرجز الذي هو أبسط أوزان الشعر، وأقربها إلى النثر حتي تغني بعضهم أن يكون شعراً خصوصاً إذا كان من منهوكة أو مشطورة فإنه أشبه بفقرات السجع منه بالشعر وأكثر ما كان يتمثل بإنصاف الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعراً كما فعل ببيت لبيد بن أبي ربيعة حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : أصدق حكمة قالها لبيد:

---

[265] – سورة فاطر الآية 18

[266] – سورة الإنسان الآية 14

[267] – سورة التوبة الآية 14

[268] – سورة المسد الآية 1

[269] – سورة الكوثر الآية 1

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ألا كل شيْء ما خلا اللهُ باطلُ وكل نعيم لا محالة زائل[270]

فأتى بالشطر صحيحاً ولكنه سكت عن إكمال البيت.

نلاحظُ أنْ النبي المصطفي . ﷺ . ينهى عن الشعر وروايته في بادي الأمر ولكنه مع ذلك شجع شعراء المسلمين واستنهض هممهم علي قول الشعر فقال . ﷺ . : "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"[271]. والرسول ﷺ يرى بأن الشعر ملازم لحياة العرب ولا يمكن تركه لأنه ديوانها وتاريخها وهو ملكه فنيه تنقسم إلي نوعين طيب وخبيث حيث يقول : "إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[272]. حيث كان يوجه الشعراء إلى أنْ يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الأخلاقية السامية في الدفاع عن الدعوة والرد علي المشركين قال . ﷺ . لحسان ابن ثابت : "اهجهم . يعني قريش . فو الله لهجائك عليهم أشد من وقع السهام ، في غلس الظلام ، اهجهم ومعك روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات"[273].

ولم يكن إعراض النبي ﷺ عن قول الشعر وروايته إغماضاً لشأنه، أو صرفاً للعرب عنه، فإنَّ المعروف أنَّه كان يقبل على الشعراء ويحسن الاستماع لقولهم ، ويثيب من يمدحه منهم، فقد خلع كعب بن زهير بردته التي اشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم ، وتوارثها الخلفاء بعده ، يلبسونها في الجمع والأعياد،

---

[270] . محمود مصطفى ،الأدب العربي وتاريخه في صدر الإسلام والدولة الأموية ، مصر ط، مصطفى البابي وأولاده ،ج1،ط1937،2م، ص:29.

271 – المصدر السابق ص: 30

[272] –المصدر السابق ص:27.

[273] – السهيلي، أبو القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي الأندلسي المالكي،الروض الأنف ، مصدر سابق ص:30.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وكان يكثر من استنشاد الخنساء في رثاء أخيها صخر ، ويقول:" إيه يا خُناسُ" بل لقد كان يدعوا إلي قول الشعر ، ويستحي به في نشر دعوته، قد اتخذ (صلى الله عليه وسلم) حسان بن ثابت (رضي الله عنه) شاعره ، وأمره أن يهجو كفار قريش وكان يقول له: " شُنَّ الغارة علي بني عبد مناف فوا لله لشعرك أشدَّ عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام". وكان يثيبه ويدعو له وهذه قتيلة أخت النضر بن الحارث الذي كان غالباً في عداوة المسلمين بمكة يكثر أذاهم ويلقن فتيان قريش الشعر في هجائهم، أسره النبي . ﷺ . في بدر وقتله، فجاءته أخته وأنشدته:

يا راكباً إنَّ الأثيـلَ مظنةٌ من صُبْحِ خامِسَةٍ وأنت موفقُ

أبلِغ بها مَـيتاً بِأنَّ تحيةً ما إنْ تزالُ بها النجائبُ تَخفقُ

مِنـيّ إليك عبرةٌ مسفوحَةٌ جَادتْ نواكِفُها وأُخرَى تخنفُ

هلْ يسمعني النضرُ إنْ ناديتهُ أمْ كَيف يسَمْعُ مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ؟

ظلّت سيوفُ بني تنوشهُ للهِ أرحامٌ هنـاك تـــُشقَّقُ

صبـراً يُقادُ إلي المنيةِ مُتعباً رَسفَ المقيَّد وهو عان موثقُ

أمحمـدٌ ولدتك خيرُ نجيبةٍ في قومها وَ الفحلُ فَحلٌ مُعْرِقُ

ما كان ضرَّك لومننتَ وربما مَنَّ الفتَى وهو المغَيظُ المحَنقُ

فالنَّضرُ أقربُ من قتلتَ قرابةً وأحقُّهم إنْ كـان عِتقٌ يعتقُ

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لـو كنتَ قابلَ فدية لفديتهُ بأعزَّ ما يغلَى به من يُعتقُ

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لو سمعت هذا قبل قتله لمننتُ عليه[274].

قصيدة رائعة استخدمت فيها أدوات الاستفهام التي تدل على التعجب والدهشة وفيها مافيها من الحزن العميق الذي انطبع أثره على وجه النبي صلى الله عليه وسلم فتمنى لو سمع هذه الأبيات قبل نفاذ الأمر.

ومن تمام الحجة في النبي . ﷺ . و رسالته أنْ حرفه الله سبحانه وتعالى عن الشعر لا يقوله ولا يحسن روايته لأنه لو قاله لوجب أن يبرز فيه ، ولا يبرز حتي يسير في نهج الشعراء من الهجاء والفخر والتشبيب والهيام في كل وادٍ من الكذب والضلالة وما تلك سبيله في الهداية وتأديب الخلق . ولو كان شاعراً لنسب العرب فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم وحجته البالغة إلي تأثير الشعر ، و لطالما رأوا من بينهم شعراء يثيرون الحروب ويؤججون نيران العداوة فيصبح النبي . صلى الله عليه وسلم . في نظرهم صعلوكاً من صعاليكهم الذين كانوا في كل وادٍ يهيمون ، ومثل هؤلاء لا يبتغون في الأمر العظيم الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل فيه العرب عن بكرة أبيهم، وكان منهم ما كان من سيادة العالم، قال تعالي: **(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)**[275] .

---

[274]- محمود مصطفى ، تاريخ الأدب العربي ص: 14.

[275] – سورة يس الآية 69.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ولا خلاف بين أهل الدراية والرواية في علم السنة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمثل بالشعر أو رواه تعبيراً عن موقف عرض له حكاية لحال ممثلة بغيرها وشبيهة بها وإنّما الخلاف مكمنة في حقيقة هذا الشعر وهيئته من حيث التمام والنقص ورعاية الوزن الشعري أو أحداث الخلل البنائي فيه[276].

والرسول (صلى الله عليه وسلم)كان يحب الشعر ، تجزل نفسه لسماعه؛ فقد كان يعجبه شعر الخنساء، ويستنشدها ويقول :إيه ياخنساء ويوميء بيده (صلى الله عليه وسلم) [277]، وحين قدم عمرو بن سليم الخزاعي مستشهداً بالنبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أن أغارت قريش على خزاعة أنشده قصيدته التي مطلعها :

ياربّ إنِّي أُناشدُ محمداً حلفَ أبينا وأبيهِ الأتْلَداْ

ودمعت عينا الرسول(صلى الله عليه وسلم) تأثراً بما سمع ، وخرج بمن معه لنصرة خزاعة [278] والرسول(صلى الله عليه وسلم) قد جمع حوله إلى جانب حملة السيوف والرماح أصحاب القرائح الشعرية ، لكي يواجه بهم جميعاً صناديد الكفر، وشعراء الشرك ولم يقف في سبيل قول الشعراء المسلمين لشعرهم دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ؛ فما كان للنبي . صلى الله عليه وسلم . وهو القائل: " إنَّ من الشّعر لحكمة وإن من البيان لسحرا " أنْ يقضي على الفن الذي نبغ فيه العرب ،

---

[276] – مصطفى عليان ، نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده ، دار البشير، عمان:54.

[277] – البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م ج1،:434.

[278] – القرشي ، أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق محمد علي الهاشمي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1،: 27.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقد عرف أثره في نفسه ونشر دعوته، وأنَّ الشّعر يجري في هذه الأمة مجرى الدم من العروق ؛ لذلك قال . صلى الله عليه وسلم . : (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)[279].

و يبدو موقفه –عليه الصلاة و السلام– من الشعر أشد وضوحا، تنويهه بشعراء الدعوة أمثال:حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه، و كعب بن مالك رضي الله عنهم. و تذكر له في هذا المجال أقوال فيها دعوة صريحة لهم للرد على شعراء المشركين قال للأنصار:"**ما يمنع الذين نصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم**"[(280)].

و من هنا يمكن حل هذا التناقض الظاهري في موقف الرسول(صلى الله عليه وسلم) من الشعر فهو لم يرفض الشعر جملة، ولم يرفضه على إطلاقه، فهو حين يرفضه إنما يرفض منه ما يتعارض مع الإسلام و مبادئه الروحية،أو يذكي روح العصبية في نفوس العرب التي أراد الإسلام أن يقضي على مآثمها في المجتمع الإسلامي الجديد، و هو حين يقبله لا يقبل منه إلا ما يحث على الفضائل و مكارم الأخلاق[(281)].

والرسول . ﷺ . يحث حسان بن ثابت على قول الشعر في هجاء المشركين ويبشره بأن جبريل عليه السلام يقف معه في معركته هذه ويجب عليه أن يلتقي بسيدنا أبي بكر الصديق . ﷺ . ليعلمه انساب العرب وتواريخ قبائلهم ، كما كان الرسول . ﷺ . يعجب بالشعر ويصفه عندما يسمع بعض روائعه بقوله . صلى الله

---

[279] – بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة للطباعة و النشر والتوزيع :83.

[280]– أبو الفرج الأصفهاني:الأغاني، ج4،ص:142.

[281]– المصدر السابق ، ج4،ص:20.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

عليه وسلم . : "إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة"[282] حيث يوضح بأنَّ من البيان ما هو يسحر النفس ويسرها من الشعر الحكم والمواعظ التي يجب أن يتعلمها الإنسان ويستفيد منها يقول النابغة الجعدي رضي الله عنه[283] :

بلغ من مكانة الشعر، لدى هادي الأمة ونبي الرحمة . صلى الله عليه وسلم . ، أنه استمع للشعر في المسجد النبوي، من عدد من الشعراء، منهم : النابغة الجعدي الذي قدم على النبي ﷺ، فأنشده قصيدته التى مطلعها:

خليلي عوْجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

ولا تجزعا أن الحياة ذميمة فخفا لروعات الحوادث أو قرا

وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا[284]

والشاعر هنا يحتفظ بشكل القصيدة العربية الجاهلية وخاصة المقدمة الطللية، على الرغم من أنه ينشدها في حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثم ينتقل إلى موضوع القصيدة التي أنشدت من أجله وهو الفخر، فيقول:

وإنا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

---

[282] – أبو الفرج الأصفهاني:الأغاني،ج4: 9.

[283] ـ أبو دياب، خليل إبراهيم أبو دياب ، النابغة الجعدي ،حياته وشعره ، دمشق دار القلم ،بيروت دار المنارة ، ط1 ،1987م،ص:141.

3– النابغة الجعدي ، ديوان النابغة الجعدي، دار الفكر بيروت، وليد قصاب، ص:122

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهر ا[285]

في الأبيات السابقة نجد أن الشاعر قد احتفظ بغرض تقليدي وهو الفخر إلا أن النابغة قد أثر فيه الإسلام بمعانيه ذات التصور الجهادي فخرج من الفخر بالذات والقبيلة إلى فخر أوسع وأعم وهو ذكر القوم وتعني الجماعة من الناس تجمعهم الفكرة لا العنصر، إذ يجعل الشجاعة عادة خيلهم وفي هذا صورة مجازية ذات دلالة مؤثرة وتتابع الصور البيانية في الأبيات حتى ينكر لون خيليه بسبب تسربلها بالدماء ثم يخرج بالفخر من الأرض ليرتبط الفخر بالقيم الإسلامية ثم يرجوا جزاء لفعله هذا الجنة. ثم يأتي أعجاب النبيﷺ في قوله ﷺ: (إلى أين المظهر يا أبا ليلي؟ قال: إلى الجنة، فقال له الرسولﷺ: نعم إن شاء الله)[286]، وواصل النابغة قصيدته حتى وصل إلى بيته الذي يقول فيه:

ولا خير في حلم إذا لم تكن بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولاخير في جهل إن لم يكن له حليم إذا ا أورد الأمر أصدرا[287]

فبلغ من إعجاب الرسول الكريم بهذين البيتين أن دعا للنابغة الذبياني بقوله: (لافض الله فاك)[288]، فلم تسقط للنابغة سن بعد ذلك على تعميره. وبهذا يكون النبي قد أجاز مثل هذا النوع من الشعر وأثاب عليه بالدعاء.

فقد أنشده كعب بن زهير رضي الله عنه* قصيدته المشهورة(بانت سعاد) في المسجد ، كما أن النبي ﷺ أثاب كعب بن زهير ثواباً مادياً عندما أنشده الآمية المشهورة بالبردة، والتي قال فيها:

4- المصدر السابق ، ص141.

[286]- ابن هشام ، أبي محمد عبد الملك بن هشام السيرة النبوية ،قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل بيروت ص:225.

2- النابغة الجعدي ، ديوان النابغة الجعدي، مصدر سابق ، ص511.

[288]- ابن الجزري ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب، ط2، ج4، ص243.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

تجلو عوارض ذي ظلم إذ ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما موعيدها إلا الأباطيل

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل

أمست سعاد بأرض لا يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل

يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم إنك يابن أبي سلمى لمقتول

وقال كل خليل كنت آمله لا ألفينك إني عنك مشغول

فقلت خلو سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وأن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول[289]

إن هذه اللامية الآنفة الذكر من عيون الشعر العربي، لأنّ شاعرها كعب بن زهير بن أبى سلمى غذي الشعر وليدا وعليه فطم، فأبوه شاعر فذ خلد هرم بن سنان بمدائحه ولولاه لماتت مآثرهما، وأخوه بجير شاعرا أيضا وابنه علقمة شاعر

---

[289]– كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق على فاعور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (1417هـ – 1997م)ص 73.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

معروف، أما الممدوح فيها فخير الورى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد قسمها الشاعر إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول في النسيب والتشبيب، وهذا ديدن الشعراء لما يرونه من رقة النسيب ونفاذه للقلوب وأسره للأسماع والأفئدة، واستمر هذا الجزء حتى البيت الثاني عشر، ثم التفت إلى الجزء الثاني من البيت الثالث عشر واصفا ناقته والمشقة والعنت الذي لاقه إبان سيره بها حتى وصل الرسول ﷺ، ثم خلص في البيت الرابع والثلاثون للغرض الأساسي ألا وهو مدح المصطفى صلاة ربي وسلامه عليه وبيان خوفه ووجله من القتل، ثم شرع يعتذر بأن ما نسب إليه ما هو إلا أقوال وشاة، حتى يصل إلى طلب الصفح الجميل ويسير على هذا النهج حتى خاتمة القصيدة.

ويروى أن النبي (ﷺ) سأل كعب بن زهير من سعاد؟ فقال إحدى بنات عمي، ووجهه لتغير بيته، الذي قال فيه:

إنّ الرّسولَ لنورٌ يستضاءُ به مُهْنَدٌ من سيوفِ الهند مسلولُ[290]

فعدّله النبي(ﷺ) فقال (من سيوف الله)[3]

فقد مدح كعب بن زهير المصطفى بالشجاعة وشبهه في مضائه بالسيف المسلول ولكنه نسب هذا السيف إلى الهند على جاري عادة الجاهلين من نسب السيوف الجيدة إلى الهند لأنها موطن صناعتها،ألا أن رسول الله نفى تبعيته إلى الهند لأن الأمر يتعلق بالعقيدة والعقيدة أول ما يبنى في كل مدرسة أو مذهب، ولهذا السبب الجوهري نقد رسول الله البيت وغير محتواه ولم يغير سواه، رغما عن تغزل كعب

---

[290]. كعب بن زهير ، الديوان مصدر سابق، ص73

1. السيد أحمد عمارة ، في النقد الأدبي ، ص 87 .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بن مالك في محبوبته غزلا حسيا، وهذا الموقف من النبي يدحض ما ذهب إليه بعض النقاد من أن الإسلام قد حرم الغزل ونهى عنه، والراجح أن هؤلاء النقاد فهموا تهذيب الإسلام لغرض الغزل تحريما مطلقا.

هذه الأبيات تمازجت فيها الصورة البيانية مزجاً رائعاً بين التشبيه ما هو بليغ وتشبيه للتمثيل وبين الاستعارات الرائعة التي لها وقع في النفس.

يرى الباحث من خلال هذا النقد النبوي وما أنطوى عليه من تعديل وُجّه كعب إليه ، هو الرأي الصائب والقول السديد وأن سيوف الله لا تفل ولا تحيد عن مواطن الحق وهذا معنى إسلامي جميل بل في غاية الروعة والحسن وهذا ما يسمى بالنقد الأخلاقي المنضبط بقواعد الإسلام وتعاليمه.

عندما سمعَ الرسولُ . ﷺ . هذه القصيدة أعجب بها وأهدى الشاعر بردته. لما في ذلك الشعر من مدح للرسول . ﷺ . والمهاجرين بقيم إسلامية وأخلاق فاضلة، فأثر في نفس الرسول - ﷺ - علي الرغم من التعريض بلأنصار في البيت قبل الأخير.

ولم يكن الرسول . ﷺ . يقيم وزن بيت يرويه أو يتمثل به ، كما فعل ببيت طرفة بن العبد فأنه رواه خلاف أصله حيث رواه هكذا:

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

سَتبِدي لَكَ الأيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيك مَنْ لم تُزَودْ بالأخَبار[291]

وأصله :

ويأتيك بالأخبار من لم تَزود[292]

وأكثر ما كان يتمثل بأنصاف الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعراً كما فعل ببيت لبيد بن أبي ربيعة رضي الله عنه حين قال : (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[293]

فأتى بالشطر صحيحاً ولكنه سكت عن عجز البيت.

والرسول (ﷺ) كان يرتجزُ قول عبد الله بن رواحة:

لا هُمّ لولا أنتَ ما اهتديْنـا ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينـاْ

فأَنـزلنَ سكينةً علينـا وثَبِّت الأقدامَ إنْ لاقَيْنـاْ

إنّ الأُلَـى قد بَغوا علينـا إذ أرادواْ فتـنـةً أبيْنـاْ[294]

---

[291] . طرفة بن العبد ، ديوانه ، 34.

[292] – محمود مصطفى ،الأدب العربي وتاريخه في صدر الإسلام والدولة الأموية ، مصر ط، مصطفى البابي وأولاده ،ج1،ط1937،2م:39.

[293] – المصدر السابق:40.

[294] . عبد الله بن رواحة ، ديوانه ، تحقيق وليد قصاب ، دار العلوم – الرياض ، ط1، 1981م : 19

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لذلك لا يمكن القول بأن النبي(ﷺ) قد نهى عن قول الشعر عموماً ، ولا يمكن القول أيضاً أنه شجع الشعر دون توجيه أو تهذيبه .فنجد أنّه سمع قول الشعر في المسجد وكافأ عليه قائله كعب بن زهير وعفا عنه .كما نجده أعجب بالشعر ووصفه بأنّه جيد المعنى أي أصدق كلمة قالها شاعر عند لبيد وقال انه لو سمع قول قُتيلة بنت الحارث لم يقتل أخاها كما كان يرتجز قول عبد الله بن رواحه[295].

إذاً فقد جاء موقفه(صلى الله عليه وسلم) من الشعر متسقا غاية الاتساق مع موقف القرآن الكريم منه فهو يعرف ما للشعر من مكانة في حياة العرب و قلوبهم، ولهذا لم يرد أن تتخلى العرب عن الشعر، و لكنه أراد أن يتجه إلى إقرار الإسلام و مبادئه في النفوس، و يتخلى عن كل ما يتعارض مع مبادئ الدين العقدية و الخلقية، وأن يكون سلاحاً يدرأ به هجوم المشركين على الإسلام بما لهم من ألسنة حداد[296].

وحيثما كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يستمع إلى إنشاد الشعراء كان يستمع بعقل الناقد البصير ، وكان كثيراً ما يوجههم نحو الصحيح من القول، والحسن من الكلام، وأكثر ما كان ذلك حين يشتم رائحة الجاهلية في كلام الشعراء المسلمين[297].

---

[295] – شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ،القاهرة ،مطبعة دار الكتب المصرية ج17،ط1955،1م،ص:196.

[296]– نجوى صابر:النقد الأخلاقي أصوله و تطبيقاته،دار العلوم العربية ،بيروت،ط1، 1990م ص:17/16.

[297] – السيد عبد القادر عويضة، أثر الإسلام في الشعر ،ط1 ،1987م، مطبعة الأمانة ،ص:38.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كُلُّ ذلك يدل على أنَّ الرسولَ (ﷺ) لم ينه عن الشعر تماماً وإنما كان يشجع الشعر الذي يدل علي الأخلاق الفاضلة ، ويدافع عن الدعوة الإسلامية وينصرها بالكلمة كما ينصرها بالسيف. ونهى عن الشعر الذي يخرج عن هذه المبادئ السامية ويكون ضد المسلمين والإسلام .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث: أثر الخلفاء الراشدين في توجيه الحركة الشعرية

سلك الخلفاء الراشدون على خطا النبوة في موقفهم من الشعر حيث حثوا علي الشعر الذي يخدم الإسلام ويوافق مبادئ وأخلاقيات الرسالة الإسلامية وسيدنا أبو بكر الصديق (ﷺ)لم ينه عن قول الشعر بل أقر ذلك وقَبله في بعض المواضع عندما كتب إليه بعض الشعراء في زمن يناصرونه ويدافعون عنه ؛ وينسب إلي سيدنا أبى بكر الصديق (رضي الله عنه):

أمِن طيف سلمَى بالبطاحِ الدمائثِ أرقْتَ ،أو أمر في العشيرةِ حادث

ترى مـن لؤلؤ فرقة لا يَصُدُّها عن الكفرِ تذكيرٌ ولا بعثُ باعث

رسولٌ أتاهُم صـادقٌ فتكذَّبوا عليه وقالوا: لستَ فينا بماكث[298]

يرى الباحث أنَّ أبيات الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) تنم عن شاعرية ذاتية صادقة فيها من البلاغة والفصاحة مكنته بأن يأتي بما هو جميل ورائع.

وقد اشتهر سيدنا عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) بأنَّه كان كثيراً ما يسأل وفود القبائل عن شعرائهم. وكان من أكثر الناس معرفة بالشعر ونقده حيث كتب إلى أبي موسي الأشعري (رضي الله عنه) واليه علي البصرة قائلاً: (مُرْ من

[298] – السيد عبد القادر عويضة، أثر الإسلام في الشعر، مصدر السابق،ص:32.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

قِبَلِكَ بتعليم الشعر فأنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب)[299].

وقد مضى الخلفاء الراشدون مهتدين بهدي الإسلام الحنيف ينهون عن الهجاء ويعاقبون عليه. كما في قصة الحطيئة مع سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول فيها مخاطباً أمير المؤمنين:

مَاذَا تقولُ لأَفْراخٍ بذي مَرَخٍ حُمرِ الحَواصِل لا ماءٌ ولا شَجَرُ

ألقيتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ الله يا عُمَرُ

أنتَ الأمينُ الذي من بعد صاحبِه ألقتْ إليك مقاليدَ النُّهى البشرُ

لم يؤثروكَ بها إذْ قدَّموكَ لها لكنْ لأنفسِهم كانت بك الخيرُ[300]

عندما سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الأبيات عطف عليه وأمر بإطلاق سراحه بعد أنْ عاهده على ألّا يعود إلى مثل هذا الهجاء، كما نسب إلى سيدنا عثمان بعض الآبيات يقول :

غِنَى النفسِ يغنِي النفسَ حتَّى يكفّها وإن عَضَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ

وما عُسَرَةٌ – فاصبرْ لها إن لقيها بكائنة إلا سيتبعُها يُسْرُ[301]

---

[299] – ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، مصدر سابق ،ج1، ص:32.

[300] – الحطيئة ، ديوان الحطيئة ، شرح ابن السكيت والسكري و السجستاني ، تحقيق نعمان أمين طه ، مصر ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده :280.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقال سيدنا على بن أبى طالب (رضي الله عنه) يصف الشعر بقوله : (الشعر ميزان القول)[302]

وموقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين من الشعر يتسق مع بعضه البعض، فلم ينه عن قول الشعر عامة ، بل نهى عن قول شعر معين. مثل شعر الهجاء المقذع، ومهاجمة الإسلام والمسلمين ، وفي الجانب الآخر الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستحسن بعض الشعر الذي يحمل القيم والأخلاق الإسلامية ويرتجز بعضه ويثيب عليه ويشجع شعراء المسلمين الذين يحمل شعرهم عبء الاتصال المباشر بالقيم الإسلامية الجديدة ، وما تحمله من مظاهر التغيير في السلوك والأخلاق والقيم الاجتماعية والروحية بحيث وقعه على المشركين اشد من وقع السهام في غلس الظلام.

وسارَ الخلفاءُ الراشدون من بعده (صلى الله عليه وسلم) على نفس المنهج في رؤيتهم للشعر حيث قبلوا ما هو متسق مع الرسالة الإسلامية ومبادئها السامية وأخلاقها الفاضلة وشجعوا الشعراء في هذا الطريق من أجل نشر القيم الروحية والدفاع عن الدعوة والرد علي المشركين والكفار ورفضوا ما هو قبيح من الألفاظ والمعاني وينادي بالفحشاء ويهاجم الإسلام.

---

[301] – القيرواني ، ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ونقده مصدر سابق :34.

[302] – المصدر السابق:34.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كَمَاْ عرفنا كانَ الشّعر في عهد النبوة ، وأما حاله بعدها فأقل شأناً وأحط مكاناً لذهاب المعارضة ولشدة الخلفاء في تأديب الشعراء ، وانصرف هم العرب إلى الفتوح ولكن الدين قد بدأ بفعل في النفوس ومظاهر الحضارة قد أخذت تؤثر في الأذهان فظهر أثر ذلك ضئيلاً في شعر كعب بن زهير والخطيئة ومعن بن أوس والنابغة الجعدي ولكنه أثر لا يتعدى بعض الألفاظ الإسلامية كالمعروف والمنكر والصلاة والمهاجرين والأنصار[303].

وبالرغم منْ أنَّ العربَ انشغلوا بالإسلام فإنَّهم لكونهم أبناء بيئتهم ولقرب عهدهم بالجاهلية وغلبة الشعر في تلك البيئة اجتماعياً وفكرياً وقبلياً أبقوا للشعر أهمية.

فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحث حسان بن ثابت (رضي الله عنه) للرد على شعراء قريش .وكان (صلى الله عليه وسلم) يستنشد الصحابة الشعر .وسار خلفاء رسول الله ص على نهجه فشجعوا الشعر واستنشدوا الشعراء والرواة .وأظهروا إعجابهم بما يسمعون واستشهدوا بالشعر في خطبهم وأحاديثهم إلى الناس.

وكانَ هذا شأنُ الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ أيضاً . فقد كانوا كثيراً ما يتناشدون الشعر. وذكر ابن سعد (قيل للحسن البصري أكان أصحاب رسول الله .

---

[303] – الزيات أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف:104.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

صلى الله عليه وسلم . يمزحون؟ قال : نعم ويتقارضون من القريض وهو الشعر)[304].

ومعنى ذلك أنّ رواية الشعر والتمثيل به كانت مستمرة في صدر الإسلام . وقد عزز من الحاجة إلى الشّعر وروايته إقامة الدواوين وتخطيط المدن وتقسيم أرزاق الجند إذ أنّ معرفة الأنساب ذات أثر مهم في ذلك . وكان النسابون كثيراً ما يسوقون قطعاً من الشعر تحدد النسب[305].

ويلمحُ الباحثُ كذلك أنَّ كثيراً منَ الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة والتابعين ومشهوري الفقهاء كانوا يقولون الشعر وكما كانت الوفود تفد على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وكان يخوض معها فيه ، وكذلك كانت تفد على خلفائه من بعده في المدينة وكان الخلفاء أيضاً يخوضون معهم في التاريخ الجاهلي ورجاله ، ولم يكن خوضهم هذا قاصراً على اللقاء بسبب الوفادة وحدها إنما كان يحدث في كل لقاء يلاءم موقف الشعر ،وكان عمر رضي الله عنه أكثرهم خوضاً في الشعر وهو القائل: (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)[306].

فقدْ كانت سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم تبعاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتفون أثره ويتحرون سنته في شأنهم كله وكانوا أعلم الناس

---

[304] – ابن سعد ،أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ج2: 22.

[305] – حسين محمد نقشه ، حماسة أبي تمام:13.

[306] – ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء مصدر سابق:22.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بذلك وأحصرهم عليه ولا غرو في ذلك فإنهم حفظوا القرآن الكريم وعملوا به وعرفوا السنة والتزموا بها[307].

وإذا أردنا أن نتعرف على شخص كان يتذوق الشعر في عصر صدر الإسلام بخلاف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فإننا نجد عبد الله بن العباس ـ رضي الله عنه ـ في مقدمة هؤلاء الذين يتذوقون الشعر، الذي كان يعرف قدر الشعر، ومن ثمّ دعا إلى تعلمه حيث يقول ـ رضي الله عنه ـ :(الشّعرُ علمُ العرب وديوانها فتعلموه ، وعليكم بشعر الحجاز...)[308].

وأبرزُ عهد حفلَ فيه الشّعر وازدهر ونمى هو عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأنَّ عهد عمر. رضي الله عنه ـ كان أطول العهود وأحفلها ولأنّه كان من نقاد الشعر ورواته والمقبلين عليه ومع ذلك كان شديداً على الشعراء في الهجاء ألجم أفواههم من فاحش القول وأخذهم بالحد والعقوبة الصارمة ،ونهاهم أن يذكروا ما قيل في شعر بين مكة والمدينة يوم كانت مكة على الشرك والضلال .[309]

وَقَدْ حدَثَ في عهد الخلفاء الراشدين بعض التطورات في موضوعات الشعر ودعت إليها ظروف الحياة الإسلامية ، فشعر الحماسة الجاهلية أصبح شعراً حماسياً إسلامياً بفضل حركة الفتوح التي اشترك فيها المجاهدون المسلمون ،فقد

---

[307] – ناصر عبد الرحمن الحنين ، الالتزام الإسلامي في الشعر ، دار الأصالة ،الرياض ،ط1، 1987م: 152.

[308] – الأندلسي ، ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، مصدر سابق، ج5،:281.

[309] – محمد خضر ، أدب صدر الإسلام ، طبعة خاصة 1981م :182.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

سجل الشعراء وقائع المعارك الفاصلة ، ورثوا شهدائهم ووصفوا المعاقل والحصون والأفيال التي استخدمها الفرس في قتالهم ويضمنوا في شعرهم معنى إسلامياً يرتبط بفكرة الجهاد في سبيل الله.[310]

ويرىْ الباحثُ أنَّ موقفَ الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من الشعر هو الموقف المثالي ، وأنّ الشعراء الذين أسلموا يمثلون تياراً إسلامياً قومياً لا ينبغي التقليل من شأنه إذا قورن بالشعر الجاهلي وأنّ معاني الإسلام قد تطرقت إلى هذا الشعر في موضوعاته وألفاظه فأصبح يغاير الصورة الجاهلية التي عرف بها.

يلاحظُ الباحثُ أنَّ المستقرئَ للنتائج الشعرية على عهد النبوة والراشدين يجد أنه مال إلى جانب الالتزام حيث اتخذ الشعراء الشعر أداة إصلاح للمجتمع ، وخدمة الدعوة والعقيدة.

ويخلصُ الباحثُ إلَى أنَّ الشّعر الجاهلي كان يختزن التقاليد الجاهلية فإن هؤلاء الناس لم يعودوا إلى الشعر الجاهلي نفسه ، ولكنما أنشئو شعراً جديداً مخالفاً في معانيه وأغراضه وفي القيم التي كانت تضفي عليه أحياناً .. ولهذا لم يعد كثير من الشعراء هذه الرموز التي تختزن التقاليد الجاهلية وإنما " الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام " على حد تعبير الحديث الشريف[311].

---

[310] – محمد مصطفى مدادة ، الشعر العربي ، دار العلوم العربية :16 .

[311] . فيض القدير ، شرح الجامع الصغير، ج4 ،: 175، حديث حسن مروي عن بن عمر وعائشة.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومعنى ذلك أنّ هذه الرفعة والقدسية التي كانت للشعر الجاهلي قد سقطت ، وأن الشاعر الذي كان محاطاً في الجاهلية بهذا الجو السحري الذي تلهمه إياه الشياطين ، وتوحي إليه بالشعر عاد إنساناً عادياً لا يختلف عن غيره من الناس في شيء كثير إلا في هذه الموهبة الخاصة التي يستطيع بها هذا الحديث.

الخاتمة

الحمدُ لله الذي رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الكرام صلاةً دائمةً إلى يوم الدين...أمّا بعد:

فقد تمَّ بعون الله تعالي وتوفيقه هذا البحث الذي كان بعنوان: "أثرُ الدعوة المحمدية في توجيه الحركة الشعرية في عصر صدر الإسلام وتوصلت الدراسة إلى نتائج وتوصيات.

النتائج:

أولاً: إنَّ الإسلام أثر في العرب وغيّر حياتهم وأدبهم بتعاليمه .

ثانياً: الإسلام لم يعاد الشعر بل شجع عليه . وأنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثنى على الشعراء وتبسم لقول الشعر.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ثالثاً: القرآن الكريم قسم الشعراء إلى قسمين طائفة الغاوين أصحاب الشعر المذموم وطائفة المؤمنين الصالحين أصحاب الشعر المحمود.

رابعاً: الخلفاء الراشدون ساروا في توجيه الحركة الأدبية والنقدية على خطا النبوة.

التوصيات:

نوصي بالمزيد من الدراسات الأدبية و النقدية و البلاغية في الأدب الإسلامي لما يمتاز به من غنى وثراء.كما نوصي بالوقوف على بعض القضايا الأدبية التي أثرت تأثيراً مباشراً على حركة الأدب عامة ومازال أثرها باق حتى اليوم كقضية الالتزام في الشعر العربي وقضية الشك والانتحال وغيرها من القضايا الأدبية التي شغلت الأدباء والنقاد حتى اليوم.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع:

1. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي .، دار المعارف.

2. الإمام مسلم بن الحجاج ، صحيح البخاري، إحياء التراث العربي، بيروت.

3. البغدادي عبد القادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولباب لسان العرب ط4، القاهرة ،1997م.

4. بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

5. حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت .

6. الحطيئة ، ديوان الحطيئة ، مطبعة مصطفى الجيلي وأولاده.

7. حسين محمد نقشة ، حماسة أبي تمام وشرحها، 1987م.

8. أبو دياب خليل إبراهيم ، النابغة الجعدي ،حياته وشعره ، دمشق ،دار القلم بيروت ، المنارة ط1، 1987م.

9. الرازي أبو عبد الله الحسين بن محمد أحمد الحسن ، شرح المعلقات السبع ،ط1 ، دار الحرم للتراث، القاهرة.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

10. ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، بيروت ،دار الجيل ،ط4، 1972م.

11. زكي نجيب ، مع الشعراء ، بيروت ، دار الشروق ، ط13، 1982م.

12. أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض.

13. ابن سعد أبو عبدا لله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ،الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت.

14. السيد عبد القادر عويضة ، أثر الإسلام في الشعر ، ط1 ، مطبعة الأماني، 1987م.

15. عبد الله بن رواحة ، ديوانه ، دار العلوم ، الرياض ط1، 1981م.

16. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد.

17. كعب بن زهير، ديوان كعب ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، 1997م

18. لبيد بن أبي ربيعة ديوان لبيد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

19. أبو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف.

20. محمد مصفى ، الشعر العربي ، دار العلوم العربية.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

21. محمد خضر أدب صدر الإسلام طبعة خاصة ، 1981م.

22. محمود مصفى الأدب العربي،وتاريخه في صدر الإسلام والدولة الاموية ، مصفى البابي وأولاده ط2، 1937م.

23. مصطفى عليان ، نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده ، دار البشير عمان.

24. النابغة الجعدي ، ديوان النابغة، دار الفكر بيروت.

25. نجوى صابر ،النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته ، دار العلوم العربية بيروت ط1 ، 1990م.

26. ناصر عبد الرحمن الحنين الالتزام الإسلامي في الشعر والأصالة ، الرياض ، ط1 1987م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com